رابعاً – ان القواعد الدينية قد تكون آمرة أو ناهية فهي تخص الاعتقاد والايمان ببعض الافكار, وتنصح ايضاً بعدم الايمان و الاعتقاد في أفكار ومعتقدات أخرى , وهذا ما يمثل الناحية النظرية للدين , وكذلك هناك الناحية العملية وهي الخاصة بإتيان بعض الافعال والطقوس والشعائر أو عدم الاتيان بها أحياناً .

تطور الفكر الديني :

عالج بارسونز وبيلا تطور الدين , ونظراً الى ان الدين في تطوره يزداد تبايناً وتفرداً عن بقية المجتمع , يذهب بارسونز الى ان ازدياد التيار الفكري العلماني المصاحب لتطور الدين لا يعني انحساراً أو اختفاء للدين , ولكن يعني ان الدين في تطوره يزداد خصوصية , ويؤكد بارسونز على ان الدين ما زال شيئاً هاماً بالنسبة للأفراد , وان التدين الفردي سوف يستمر في التأثير على السلوك العام , وقد وضع بيلا **خمس مراحل تطورية للدين** :

الاولى – مرحلة الدين البدائي :

وهي أبسط أشكال الدين بدائية , وتظهر عند القبائل البدائية لسكان استراليا الاصليين, فنسق الرموز الدينية عند هذه الجماعات يركز على عالم خرافي هو عالم الارواح , وهذا العالم يمدهم بنموذج لفهم العالم الحقيقي , ومن خلال الطقوس الدينية يتوحد الافراد مع الكائنات الروحية الموجودة في العالم الخرافي اي في عالم الارواح , وفي مرحلة الدين البدائي لا يوجد انفصال بين الادوار الدينية والبناء أو المنظمات , فالدين ليس جزءاً مختلفاً عن الثقافة , ولذلك فهو يخدم وحدة الثقافة ويعظم من الاستقرار في البناء الاجتماعي , فالدين لا يعمل على وجود التغير الاجتماعي .

الثانية – مرحلة الدين القديم :

وفي هذه المرحلة يزداد قوة وتأثير هذه الكائنات الروحية عن المرحلة السابقة , وينظر اليهم أكثر من كونهم نماذج , فهم مزودون بقوة وسلطة ولهم قدرة على التأثير في الحياة اليومية , ولذلك فهنالك صلوات تقام لتحقيق الاتصال مع هذه الكائنات الفوق انسانية , وفي هذه المرحلة هناك علاقة قوية بين الدين والسياسة , وتبدو هذه العلاقة في تقديس الملك الحاكم , كما ان الاسر ذات المكانة السياسية العالية عادة هي التي تحتل المكانات

الدينية العالية والادوار الدينية الرئيسية , فالدين في هذه المرحلة أساسي وضروري , ونسق الرموز الدينية ليس مستقلاً عن نسق الرموز العلمانية , لذلك فإن الرؤيا الدينية للعالم لم تقدم بديلاً لما هو سائد في الثقافة .

الثالثة – مرحلة الدين التأريخي :

ان السمة المميزة لمرحلة الدين التأريخي ذلك الفصل بين العالم المقدس والعالم العلماني , هذه الثنائية عادة تقود الى رفض الواقع وقيمه مع استحسان العالم الديني , ان هذه للمرحلة تعني تطوراً في الدين لأن الدين أصبح شيئاً أكثر من كونه ولاء للقبيلة , ان الدين التاريخي يدعم وجود الاله الاوحد أو وحدانية الاله , اي ان هناك إلهاً واحداً لكل الناس ولكل القبائل , والابعد من ذلك , ان مفهوم الفصل والاستقلال لعالم الموجودات يتضمن التمفصل بين النماذج البديلة , عن ماذا تكون حقيقة العالم ؟ وماذا يتوقع من الانسان ؟ وفي هذه المرحلة ظهر أيضاً الكيان المستقل للمؤسسات الدينية وأنساق الرموز .

الرابعة – مرحلة الدين المعاصر المبكر :

في هذه المرحلة تظهر ايضاً ثنائية رؤية العالم واستقلال المؤسسات الدينية , كما تعدلت النظرة السلبية للعالم الواقعي , بينما ظل الخلاص يُنظر اليه على انه مكافأة ينالها الفرد في العالم الاخر , فخلاص الفرد يتحقق من خلال علاقة الفرد الشخصية مع الاله , وقد حدد بيلا بداية مرحلة الدين المعاصر المبكر بالاصلاح البروتستانتي , فالاصلاح البروتستانتي يركز على الدور الوسيط للمنظمات الدينية , فالخلاص هو مسؤولية فردية في هذا العالم , ان الولاء للإله يُنظر اليه من خلال مفاهيم السلوك في الحياة اليومية أكثر من مجرد حضور الطقوس الدينية , هذا يعني ان المؤسسات العلمانية الخاصة بالقانون والتعليم والسياسية , أصبحت قطاعات يعبر فيها عن القيم

الخامسة – مرحلة الدين المعاصر :

ان الدين المعاصر هو ظاهرة جارية في ظهورها , وان طبيعة هذه المرحلة ووجودها محاط بالمخاطر , ويذكر بيلا ايضاً بأننا نحن الان نمر بمرحلة تحول في الدين الذي يتضمن مزيداً من الخصوصية وقليلاً من الضبط التنظيمي .

العوامل التي أدت الى تنوع الاديان والعقائد فهي كما يأتي :

١- العامل الجغرافي :

تنبه الاقدمون لتأثير العامل الجغرافي في حياة المجتمع , فهذا هيرودوت الملقب بأب التأريخ يقول " ان مصر هبة من النيل " وهذا ابن خلدون يحدثنا عن تأثير المناخ في العامل الجغرافي في الديانة , ففي وصفه للأقاليم المختلفة جغرافياً , فيقول كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم التي تتميز بالاعتدال , فسكانها من البشر أعدل جسماً وألواناً وأخلاقاً و أدياناً , أما سكان الاقاليم البعيدة من الاعتدال فهم متوحشون تكاد امزجتهم وأخلاقهم أقرب الى الحيوانات , كذلك أحوالهم في الديانة أيضاً , فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال .

٢- العامل العمراني أو المورفولوجي :

ويراد به عدد السكان وحجم المجتمع وكثافته وطرق المواصلات بين البلاد , واذا درسنا الديانات عامة رأينا ان كل تغيير يطرأ على هيئة المجتمع يصحبه تغيير في نظام الديانة , ومن ذلك ان الاستقرار في الارض أدى الى فصل السلطة عن الدين , وعندما حلّ نظام الابوة مكان الامومة تضخم عدد الاساطير , واذا ما تكاثر الناس وتمّ الانتقال من نظام العشيرة الى نظام القبيلة تأثرت الديانة المغلقة , وانتقلت من الطوطمية المتأخرة الى الطوطمية المرتقية , ومن ذلك ايضاً , أن اتحاد القبائل وسيطرة شعب منها على القبائل التي دونها قوة مهدتا الطريق الى الدول الكبرى , تشد أزرها الديانات , ثم ان اتساع شأن الدولة , وامتداد حجمها وسلطانها , وازدياد المواصلات بين الاقطار , أدت الى ارتقاء ديني كان من نتائجه التمسك بجوهر الدين واستعداد الافكار لقبول ديانة الانسانية , كذلك فإن الديانة تؤثر بدورها على النظام الاجتماعي , فالاسلام مثلاً , بردعه المؤمنين عن الوأد خشية إملاق , فقد زاد عدد الافراد , وهم وان ظلوا متمسكين بالنعرات القبلية القديمة , غير ان الاسلام ازال هذه العقبات حتى ذللها , بالحزازات القديمة حتى تغلب عليها , وجعل العرب وحدة متماسكة , ونقلها من العشيرة الى السلطان , ولولاه لما تم الانتقال بهذه السرعة , وكذلك الامر في البلاد الدائنة

بالنصرانية والمتمسكة بأهداب الدين , فهي على الغالب , لا تطبق قوانين مالثوس في تقليل المواليد , وأخيراً فإن للديانة أثراً بالغاً في زيادة حجم المجتمع وعدد سكانه في البلدان المقدسة .

٣- العامل السياسي :

ان الدين إلهياً كان أم غير إلهي , لم يشذ عن قواعد الشؤون الانسانية , ولم يخرج على مقتضيات أنواع الحياة البشرية وحاجاتها المتباينة أو المتقاربة , فعلى سبيل المثال تغير الاتجاه الديني لعوامل سياسية في صدر الاسلام حينما تضاربت مصلحة المجتمع الدولة والامة , ومصلحة الدين كانت مصلحة المجتمع هي الفاصل في النزاع , حيث أخذت السور القرآنية المدنية تتطور لتوافق حاجة الجماعة فصارت جهاداً وتشريعاً , بينما كانت السور المكية فكراً متسامياً الى الله وروحاً متجردة من الاصنام و الدنيويات , كذلك صارت تعاليم لوتير المصلح وسيلة لتحرر ألمانيا من ربقة روما , والكنيسة (الانغليكانية) الانكليزية التي أنشئت وأزيلت ثم أعيدت لتفي بغرض المجتمع الانكليزي , فظلت في طقوسها كأنها كاثوليكية أو أرثوذكسية , ولكنها استقلت عن هذين المذهبين , ان الدين واحد , ولكن الامم متعددة , وفي احتكاك الامم بالامم تتمسك كل واحدة بكل عقيدة أو بأية عقيدة , سواء كانت دينية أو غير دينية , لتحافظ على استقلالها الروحي , فلا تخضع لأمة أخرى بواسطة السلطة الروحية الدينية , ولذلك ظلت اسكتلندا كاثوليكية لكي تحتفظ بشخصيتها القومية , فلا تذوب في انكلترا , ان في المجتمعات الانسانية نزعة الى اكتساب العقائد العامة صبغات وألواناً وأذواقاً من خصوصيات شخصياتها , وكل مجتمع يحب أن يرى نفسيته وشؤونه الخصوصية في معتقداته ومذاهبه , اي ان يطبع المذهب العام والمشترك بطابع شخصي , فالمجتمع الروسي مثلاً , قد أدخل في الارثوذكسية الشيء الكثير من شخصيته وخصوصياته الاجتماعية , فالترانيم والاجواق الكنسية وتقبيل الاقارب ثلاثاً والاعياد ومظاهرها القومية , هذه الاشياء الثانوية بالنسبة الى الاعتقاد بالله والخلود والمسيح , لها الشأن الاول في نفسية المجتمع , وهي هذه الاشياء التي لها قيمة قومية في حياة المجتمع , اشياء تقليدية صُبغ المجتمع الدين بها فأصبحت تقاليد دينية قومية .

٤- **العامل الاقتصادي :**

ان طريقة الانتاج في الحياة المادية تعطي الهيئات الاجتماعية والسياسية والروحية طبائعها العامة , كما ان اسلوب المعاش يُملي على الناس منهاج حياتهم , كما ان الديانة والفلسفة لم تعرفا طريقهما الى الوجود الا على يد العوامل الاقتصادية التي جعلت ظهورهما حيز الامكان , وعند ماركس ان المسيحية ما كانت لتوجد لولا التطور الذي قلب صفحة العالم القديم , على أثر الفتوحات الرومانية , وان البروتستانتية ما كانت لتظهر لولا التطور الاقتصادي الذي مهد الطريق للرأسمالية , ويضرب نيتشه مثلاً على الغرار نفسه في تحليله المسيحية , فهي عنده ديانة الشعوب المرهقة الضعيفة التي تجد في النعيم الابدي ملجأ تلتمس فيه سعادة طالما نشدتها على هذه الارض , وهي ايضاً ديانة العبيد الذين لا يستطيعون سوى الطاعة و الخضوع الاعمى لأوامر سادتهم فهي القائلة " من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر , ونجد في النظريات الباحثة عن الطوطمية محاولة لتفسير أثر العامل الاقتصادي , فجيمس فريزر يؤكد في احدى نظرياته ان الانسانية في أجيالها الاولى كانت تؤلف شبه شركة غايتها الانتاج و الاستهلاك , فكان على كل عشيرة ان توجد نوعاً واحداً من الاطعمة تقدمه لسائر العشائر .

الاديان السماوية :

تُطلق هذه التسمية على الاديان التي يؤمن معتنقوها أنها منزلة من الله , أي ان مصدرها هو الوحي الالهي , وتُستخدم هذه التسمية في مقابل الاديان الوضعية التي كانت من انتاج البشر , ويحصر الباحثون الاديان السماوية حسب ترتيبها التاريخي اليهودية , والمسيحية , والاسلامية وهي الديانات التوحيدية الثلاث الباقية في المجتمعات البشرية المعاصرة , ورغم التفاوت في نسبة انتشارها في عالم اليوم الا انها نشأت جميعها في ما يعرف الان بمنطقة الشرق الاوسط , كما انها تميزت بكثير من أوجه التداخل والتقارب في بعض عناصرها ومنطلقاتها الاساسية , وسأعرض عليكم بشيء من الايجاز بعض أهم المبادئ والافكار والاساسية التي نادت بها كل ديانة من هذه الديانات .

الديانة اليهودية :

ان تعريف اليهودية يقودنا بالضرورة الى عدة مصطلحات تربطها علاقة نسب وصلة قوّية , خاصة ونحن نتحدث عن ديانة يجتمع فيها الديني والتأريخي , ويرتبط بها إرث عرقي ولغوي , وهذه المصطلحات هي : عبري , اسرائيلي , يهودي .

فالعبري هو المصطلح الذي يرتبط بحدث تأريخي هو العبور أو الرحلة عند البعض , أو بشخص اسمه عابر , احد اجداد ابراهيم (عليه السلام) , وما يحمله من الاشارة الى صفة الغربة أو الاغتراب التي ارتبطت بهذا الشعب .

وقد تفرعت في اليهودية فرق كثيرة , تختلف في مبادئها وأسس حياتها ونظرتها الى الكون , ولقد أسهمت معطيات كثيرة في مولد هذه الفِرَق وتكاثرها , ويرجع بعضها الى أسباب عقائدية وفقهية , كما يرجع بعضها الاخر الى أسباب تأريخية وسياسية , هذا الى جانب الظروف التي مرّت بها الجماعات اليهودية في الشتات , والتي كانت لها الاثر البالغ في هذا التعدد الكمي والنوعي في العنصر اليهودي

ومن اهم المذاهب اليهودية :

أ- الفرّيسيّون .

ب- السامريون .

ت- الصدوقيون .

ث- الاسينيون .

الديانة المسيحية :

وقد نشأت المسيحية في فلسطين , وبدأت بالانتشار في ظل الاضطهاد الروماني لعدة قرون الى ان اعتمدها الامبراطور قسطنطين ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي , وتسارع انتشارها بعد ذلك في آسيا الصغرى واليونان ثم أوروبا بمجملها .

ومن بين جميع الاديان الكبرى , تُعتبر المسيحية اليوم أوسع الاديان انتشاراً وأكثرها اتباعاً , وربما تكون الارقام التي تُعطى لأتباع هذه الديانة مبالغاً فيها احياناً , اي ان السجلات تُقدم رقماً يقارب أن يكون هناك شخص مسيحي من أصل كل ثلاث أشخاص على وجه المعمورة , بما يعطي رقماً يصل الى حوالي مليار ونصف مليار نسمة لأتباع المسيحية .

وتتميز المسيحية من بقية الاديان السماوية الاخرى بأنها قائمة في كل نواحيها على شخصية محورية هي شخصية المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) , فالعقائد المسيحية والشعائر المسيحية متمحورة حول شخصه , فالقول بالعلاقة المميزة التي تربطه بالله (الاب) , والقول با (الصلب , الفداء , القيامة) كلها مرتبطة بهذه الشخصية , وما حدث لها في تصوّر المسيحيين , كما ان العماد والافخارستيا كلها مرتبطة بأعمال قام بها المسيح في حياته , فالبحث في المسيحية يتوقف على تتبع تفاصيل حياة المسيح (عليه السلام) , وما جرى فيها من الاحداث , خاصة حادث الميلاد , وحادث النهاية (الصلب عند المسيحيين) , أما مصادر الديانة المسيحية فهي تعتمد على الكتاب المقدس , وهو مكون من قسمين كبيرين هما : **الاول العهد القديم** والذي سبق التعريف به اثناء استعراض الديانة اليهودية , والثاني **العهد الجديد** وهو ينقسم الى قسمين :

القسم الاول الاناجيل : والانجيل كلمة معرّبة من الكلمة اليونانية (ايفانجليون) , والتي تعني البشارة او الخبر السار , ويطلق المسيحيون على الاناجيل عموماً اسم الاسفار التأريخية , أي تلك التي تحكي وتروي حياة المسيح عليه السلام ودعوته , والاناجيل في تأريخ المسيحية كثيرة , **ولكن الكنيسة لم تعترف الا بأربعة أناجيل هي :**

١- إنجيل متّى ٢- إنجيل مرقُس ٣- إنجيل لوقا ٤- إنجيل يوحنا .

والقسم الثاني الرسائل : ويسمي المسيحيون الرسائل الاسفار التعليمية , لأنها تفسر وتعلم المسيحية أكثر من الاناجيل , وقد دونت باللغة اليونانية , ويبلغ عدد الرسائل إحدى وعشرون رسالة , تنسب أربع عشرة منها الى (بولس الرسول) , وهي المصدر الثاني بعد الاناجيل الناصة على التعاليم المسيحية , فهي التي تشرحها , وتفسرها , وعددها اثنتان وعشرون رسالة .

أما العقيدة المسيحية فتقوم على أربع عقائد هي :

١- عقيدة الالوهية (التثليث) ٢- عقيدة الصلب ٣- عقيدة الفداء ٤- عقيدة القيامة .

وبالنسبة للشعائر المسيحية , فيطلق عليها أيضاً الاسرار جمع سّر , وهو نوع من الحياة التي تمنحها الكنيسة للإنسان بواسطة صلاة خاصة , وتعطيه فيها النعمة , حتى يستطيع القيام بواجبات هذا السّر , والاسرار المسيحية على اختلاف اعتمادها من طرف الطوائف والفرق المسيحية سبعة هي:

١- المعمودية .

٢- سّر التثبيت .

٣- سِّر القربان .

٤- سّر التوبة .

٥- سّر المسحة الاخيرة .

٦- سّر الكهنوت .

٧- سّر الزيجة .

وبخصوص الفرق والمذاهب المسيحية , فقد ظهرت في تأريخ الديانة المسيحية فِرق كثيرة لا حصر لها , كان من اسباب ظهورها الخلافات العقلية بين المسيحيين التي بدأت من الاختلاف في طبيعة المسيح عليه السلام , حيث ظهر اتجاهين مختلفين أحدهما يقول ببشرية المسيح , والاخر فيقول بإلوهية المسيح .